جوانب التربية
في
القرآن الكريم

وصف رب العزة جل شأنه منهج في التربية بأنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ.... ﴾ [فُصِّلَت:٤٢] وأنه منهج يعرف أبعاد النفس البشرية، ويدرك أعماقها ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [المُلك:١٤] يعلم خفاياها وما يلم بها من أدران، وما يعلق بها شوائب، ويعلم حدودها من فرد لآخر، لذلك يقوم هذا المنهج القرآني على ردها إلى فطرتها السليمة، وتخليصها مما يعلق بها من أوضار الوراثة والبيئة، وما يلحق بها من خرافات العرف والتقليد، ويردها إلى خالقها عن طريق المعرفة الحقة والدليل الواضح والحجج الدافعة، وهو منهج يعلم ما تحمله من فجور وتقوى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ [الشمس:٧:٨]

والنفس البشرية في حالات ضعفها تشعر باليأس، لذلك يدعوها المولى – عز وجل – إلى اللجوء إليه والاستعانه به، وعندما تقع النفس في المحرمات وترتكب المحظورات يدعوها إلى عدم اليأس من رحمة الله:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠]

ويعرف ما يكدر صفوها من بغي وظلم، وبخل وشح وإسراف وتقتير، وخيانة وحسد وسوء ظن، لذلك يحذرها من هذا كله في مواضع كثيرة كالتحذير في قوله:-

﴿ ....وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان:٣١]

وقوله تعالى:-

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ .... ﴾ [الأعراف:٣٣]

وقوله تعالى:-

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ .... ﴾ [آل عمران:١٨٠]

وقوله:-

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ [الفرقان:٦٧]

وقوله:-

﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨ ﴾ [الأنفال:٥٨]

وقوله:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ... ﴾ [الحُجُرات:١٢]

كل هذا ليرتقى بالنفس ويسمو بها ويجعلها في مقام مرتفع.

ومن جوانب العظمة في الأسلوب التربوي القرآني أنه يراعي الفطرة، ويقدر نوازع النفس البشرية، لذلك حين يربي أو يعالج يسير وفق متطلبات البشر، حتى يقر ما يريد، ويعالج ما يريد معالجته ودليل ذلك أن الإنسان حين انحرف عن الطريق السوي وراح يعبد الأصنام، وتوى الطبيعة أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليأخذ بيد الناس إلى الرشاد.

وقد كان سيدنا إبراهيم -عليه السلام- نقي الفطرة سليم النظر راجح العقل - برغم نشأته بين قوم يعبدون الأصنام - فراح يتأمل في الكون باحثاً عن ربه خالق كل ما حوله من موجودات وكائنات قبل بعثته، حتى اهتدى إليه وعرف مكانه، واتخذه القرآن مثلاً يحتذى لأصحاب الفطر السليمة والقلوب الذكية، يقول القرآن:-

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ [الأنعام:٧٥:٧٩]